الفصل الرابع

* الثقافة اليابانية

* الديانة اليابانية

obeikan.com

الثقافة اليابانية

اليابانيون هم نتاج تزاوج شعوب مختلفة لم يتم حتى الآن التعرف على كثير من أصولها. يقول عالم الجماجم المشهور هامي (Hamy) في هذا الموضوع: "يكاد ألا يكون هناك جنس من الأجناس لم يسهم بعض الاسهام في تكوين الأمة اليابانية: القوقازيون، والمغول، والملايو، بل اننا نجد في الجنوب مسحة طفيفة من السواد أتت من جزر المحيط الهادي" (Quoted in, Ichihashi, 1932:209). ويفسر لنا ذلك ما تحتويه الثقافة اليابانية من عناصر مختلفة. فقد تعرضت هذه الثقافة لتيارات ثقافية متنوعة، فالمنازل القائمة على ركائز في جنوب اليابان ربما كان مرجعها الى أثر شعب الملايو فقد اشتهروا ببناء مساكنهم على أعمدة أو ركائز لتحاشي خطر الثعابين والفيضانات وهي كثيرة في بيئتهم (Fellows, 1972:125).

وقد عرف اليابانيون الأمريكيون بالجد في العمل، والطموح الوثاب، والانصياع للقانون ومن شيمهم الايمان بالقدر، وهي القدرة على تقبل ما تأتي به الأقدار دون شكوى أو ضجر، بل نجدهم وقد علت الابتسامة وجوههم وهم في أحرج المواقف (Fellows, 1972:126). ويمكننا أن نتفهم ما جبل عليه الياباني من حب للنظام والطاعة. إذا ما استعرضنا تاريخ اليابان، فقد عانى اليابانيون في تاريخهم القديم من ويلات الحروب الداخلية والخارجية، كما عانوا خلال فترات الجفاف الطويلة من وطأة الأمراض، وظلم سادتهم الاقطاعيين، فخلال فترة الايدو (Edo) اتبع توكوجاوا شوجونز (Tokugawa Shoguns) سياسة لتوطيد دعائم الاستقرار الاجتماعي بسحق قوة الفلاحين من أصحاب الأرض، وكذلك بالسيطرة على المدينة التجارية أوزاكا (Osaka) مما أدى الى توجيه ضربة قاسية للقوى السياسية الصاعدة للطبقة الوسطى والدنيا من المجتمع، واتبع التوكوجاوا (Tokugawa) النظريات الاجتماعية التي أمر بها كونفوشيوس ،

والتي نشأت بالصين منذ حوالي ألفي عام، فنشأ عنها نظام اجتماعي ينقسم الى أربع طبقات هي: الساموراي وهم الحكام المحاربون، والفلاحون، والصناع، والتجار (Reichauer, 1953:86). وكان من المتبع أن ينحني الشخص لمن هو أعلى منه منزلة، كما كان من المحرم أن يقاومه أو يعارضه (Fellows, 1972:126).

ولنستمع الى هوسوكاوا (Hosokawa) وهو يشرح لنا سلوك تلك الطبقات المختلفة من اليابانيين في تلك الأيام:

"كان الفلاحون يزرعون الأرز ويدفعون الضرائب المطلوبة منهم ومع ذلك فقد كانوا شديدي التعلق بحياتهم البائسة تلك، فلم تكن حالتهم أفضل من حالة رقيق الأرض في أوربا ابان عصورها الوسطى. كما نجد - كما هي الحال في أوربا في تلك العصور - رجالا نسجت حولهم الأساطير فصاروا أبطالا محاربين لايهابون الموت واشتهروا بأعمالهم الخارقة وقوتهم المذهلة في ميادين المبارزة، والشجاعة النادرة فقهروا اللصوص وقطاع الطرق وزعماء العصابات من الأشرار وغيرهم ممن كانوا يتسلطون على الفقراء والمستضعفين في الأرض. أما طبقة الأرستقراطيين فكانت تتزعم السلم الطبقي وكانوا يسمون الكيزوكو (Kizoku)، وبعدهم في علو المنزلة تأتي طبقة الساموراي (Samurai) المقاتلون الشيزوكو (Shizoku)، ثم بعد ذلك تأتي طبقة العوام أو الهايمين (Heimin) وكانوا ينقسمون الى ثلاث طبقات: الفلاحون (Nomin) وكان لهم وضع متميز فوق الجميع "إذ من يملك أرز الحقول يملك حياة الأمة بين يديه"، والشونين (Shonin)، وهم فئة غير منتجة ومع ذلك فهي دائمة البحث عن المال، فمهما يكن من أمر، فالمال له سلطانه في النفوس، وقد درج التجار على اقراض الأموال الى الساموراي الفقراء، والى الفلاحين، في المواسم التي يسوء فيها المحصول وعندما يضطرون الى دفع الضرائب. لهذا كان للتجار نفوذ مهما أيا كان وضعهم الاجتماعي (Hosokawa, 1969:7).

---

* الكونفوشية (Confucianism) هي فلسفة جاء بها كونفوشيوس (Confucius) (٥٥١ - ٤٧٩ ق.م.) الفيلسوف ومعلم الأخلاق الصيني الذي كان يؤمن بمباديء الولاء والاخلاص للأصدقاء وذوي القربى وأولي الأمر..الخ، وأنه يجب علينا أن نعامل الناس بمثل ما نحب أن يعاملونا به (Oxford English Dictionary).

وكان أغلب المهاجرين اليابانيين الى الولايات المتحدة من الفلاحين. ولربما كان ذلك هو السبب فيما أظهروه من قابلية للتعلم والتدريب، لما غرسته فيهم مهنتهم القديمة ووضعهم في بلادهم من انصياع لأوامر القانون، وانقياد لأولي الأمر.

وكان للوضع الاجتماعي أهمية كبرى باليابان فكان الطلاب في المدارس يتعلمون قواعد معينة للسلوك الاجتماعي والأخلاق ضمن منهج الدراسة ابان عصر الميجي (Meiji) وكانت هذه القواعد عبارة عن أون (On) وهي الواجب المنوط بالانسان، وتشو (Chu) وهي الولاء لأولي الأمر والرؤساء، ونينجو (Ninjo) وهي رقة المشاعر الانسانية، وانريو (Enryo)، وهي اظهار الكبرياء والتواضع في حضرة الرؤساء (Kitano, 1969:102). ومن المهم أن نعرف هذه القواعد التي سادت في عصر الميجي (Meiji) حتى نستطيع تفهم سلوك اليابانيين من جيل ايساي (Issei) .

ويرجع النجاح الذي حققه اليابانيون في الولايات المتحدة الى قدرتهم على التكيف مع ظروف البيئة التي كانت تحيط بهم، فنجدهم وقد أقروا بدنو منزلتهم قياسا بالبيض ومن ثم فقد أذعنوا لهم وأقروا لهم بالسيادة، ومع ذلك كله نجدهم ذوي نفوس طموحة وثابة، لايتركون فرصة تسنح لهم الا واستفادوا منها، فإذا بهم يقبضون على ناصية الأمور في مجال الزراعة بين سنة ١٩٠٠ و ١٩٤١، بل نجدهم الآن وقد آلت اليهم مقاليد الأمور في مجال التجارة في هاوائي، أضف الى ذلك ما يتسمون به من نشاط وحيوية في مجال التجارة بكاليفورنيا (California) والينويز (Illinois) ونيويورك (New York).

وترجع بعض المميزات التي يتسم بها اليابانيون الى البيئة التي كانوا يعيشون بها في بلدهم اليابان، فالياباني يعوزه الشعور بالأمان ولذا نجده لايهتم بأمور غيره أو مشكلاتهم حرصا منه على أمانه واستقراره، والياباني أيضا يطيع

حكامه طاعة عمياء، فلا يسأل ولا يعترض، بل يستسلم لهم في خضوع تام*. أما الميزة الثالثة التي يتسم بها الياباني فهي الانتهازية "لأن السلطات تقرر دائما ما يصح وما لايصح، فلا يجد الياباني بدا من الانصياع والطاعة والتكيف مع الظروف الجديدة" (Iga, 1967:1). ويعتقد ايجا (Iga) أن هذه السمات أو المميزات الثلاث في الثقافة والشخصية اليابانية في عصر الميجي (Meiji) تفسر لنا امتناع اليابانيين عن المشاركة في صراعات السود من أجل الحقوق المدنية (Ibid, p.2).

كما يتميز اليابانيون عن سواهم بقيم خاصة بهم، منها ذوبان الفرد في الجماعة التي ينتمي اليها، واغفاله لحاجاته الخاصة في سبيل تحقيق حاجات الجماعة كلها. وثمة قيمة أخرى نجدها عند اليابانيين وهي محدودية الولاء لا شموليته، فالياباني يدين بالولاء نحو بيته وأسرته وجماعته الخاصة وثيقة العلاقة به (Kintano, 1969:107).

الديانات اليابانية

كانت بداية الدين في اليابان منذ آلاف السنين مع وصول أول القادمين اليها، ومعهم دياناتهم المختلفة التي تطورت فيما بعد لتصير دينا هو الشينتو (Shinto) أو طريق الآلهة (Fellows, 1972:127).

وديانات اليابانيين عبارة عن الشينتو (Shinto) والبوذية (Buddhism) والمسيحية (Christianity) وعدة ديانات متنوعة أخرى. أما البوذية والمسيحية فقد وردتا الى اليابان من الخارج ولكننا نجد تفاوتا كبيرا بينهما من حيث قدرتهما على التوطن والتأصل في أرض اليابان. وبينما سبقت الكونفوشية

---

* وأشير هنا الى عملية الترحيل في أثناء الحرب، فلم تفعل الهيئة الخاصة بهذه العملية سوى أن علقت ملصقات تطالب اليابانيين بالحضور في تمام الساعة الثانية عشرة صباحا في أماكن محددة، فلم يتخلف ياباني عن ذلك بل انتظموا في صفوف في الوقت والمكان المحددين.

(Confucianism) البوذية الى اليابان فقد قصرت مهمتها على ميدان الأخلاق فلم تتجاوزه لتصير ديانة منظمة لليابانيين (Boddy, 1921:115-6).

والبوذية في الولايات المتحدة متنوعة جدا، فجميع طوائفها الرئيسية ممثلة فيها (الشكل: ١٨)، فالمعابد الكثيرة موجودة في الولايات المتحدة، مع ادخال بعض التغييرات ، كتسمية المعابد البوذية كنائس ، وتقديم الخطب الدينية أيام الأحد (Petersen, 1971:175). وهناك عدد من المعابد في هاوائي. ولاسيما معابد كونا ومعبد ضاحية هونولولو كاليفورنيا وكذا الكنيسة البوذية في غرب لوس انجلوس. كما توجد معابد صغيرة عديدة لكل جالية يابانية في الولايات المتحدة (Petersen,1971:178, Fellows, 1972:122).

وقد أخذت المسيحية في الظهور بين اليابانيين بمجرد أن بدأت هجراتهم الى الولايات المتحدة، فنظمت حملات تبشيرية مكثفة لتحويلهم الى المسيحية، وتحول كثير منهم اليها، ولم تكد سنة ١٩٣٠ تبدأ حتى كان هناك ٣٠ كنيسة يابانية في كاليفورنيا وحدها (Strong, 1933:171). وقد اعترض طريق عملية تحويلهم الى المسيحية عقبتان أولاهما أن اليابانيين قد استمدوا مبادئهم الأخلاقية الى حد كبير من ديانات متنوعة، ومن المشكوك فيه أن يقتصر الياباني على المسيحية دينا، فثمة آلاف من اليابانيين، لاريب، لايجدون غضاضة اطلاقا في أن يضيفوا المسيحية الى بضعة ديانات أخرى يدينون بها معا فيضيفون صورة المسيح الى مجموعة الصور التي لديهم ويساوون بينه وبين بوذا في التقديس والتمجيد وكذا بينه وبين أسلافهم الأولين، ولكنهم لايقبلون من المسيحية أنه لا اله الا اله واحد (Boddy, 1921:120). أما العقبة الأخرى فهي خوف اليابانيين من أن يؤدي بهم تأثرهم بالثقافة الأمريكية الى نسيان قيمهم وتراثهم (Petersen, 1971:182).

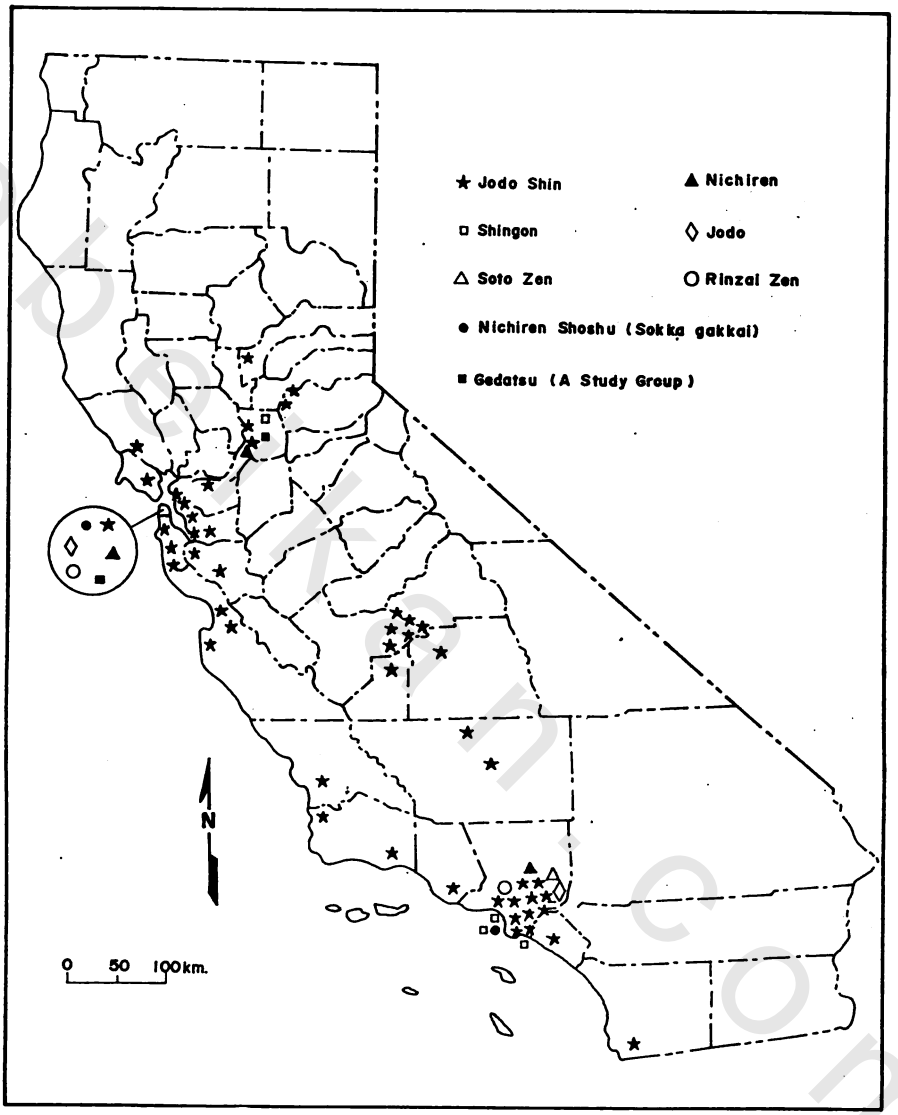

المصدر:

Donald K. Fellows, 1972, A Mosaic of America's Ethnic Minorities, New York: John Wiley and Sons, Inc.

شكل (١٨) توزيع الكنائس والمعابد البوذيّة اليابانية في كاليفورنيا.